

أغنية الرياح الأربع

ونص أغاني الرياح كما نشر عليه الأوب دريتون :

تقول الفتيات إنهن أعطين هذه الرياح
فهذه ربح الشمال التي تطوق بحر إيجه
والتي تعد ذراعيها فتبلغ أطراف مصر
والتي تمجد إلى النوم بعد أن تترك في نفس الصديق البهجة
التي يأنس إليها^(١) كل يوم

إنها ربح الحياة أعطيتها وبها أحيأ
تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »
وهذه ربح الشرق التي تفتح طاقات السماء^(٢)
والتي تهب الشرق أنفاسه
والتي تهب مع الشروق وتصبح الشمس إلى فحوتها^(٣)
أمسك الشمس بيدي

وهيات لي في ساحتها مكانا^(٤)

حيث أقبل على الطعام بشغف كما يقبل أيسس^(٥)
وألهمه في نهم كما يفعل « سيت »

إن ربح الشرق هي ربح الحياة أعطيتها وبها أحيأ
تقول الفتيات : « لقد أعطينا هذه الرياح »

وهذه ربح الغرب شقيقة « ها » وسليمة « ياو »^(٦)
والتي جعلت من جسد الآلهة موطناً لها تعيش فيه

أخرج شاعر اللذة والجمال الأستاذ على محمود طه روايته
المصرية الشعرية « أغنية الرياح الأربع » في ثلاثة فصول تقسم
بسمات الفن الرفيع الذي عرفه القراء في كل ما صدر عن هذا
الشاعر المبدع . وقعت حوادث هذه الرواية منذ أربعة آلاف عام
على شواطئ البحر الأبيض من السواحل الفينيقية إلى السواحل
المصرية . ولهذا المسرحية الباسقة الفروع الدائرية القطوف نواة
من أصل تاريخي عثر عليه الأثرى الكبير الأوب « دريتون »
عام ١٩٤٢ ، فنقله من اللغة المصرية إلى اللغة الفرنسية ؛ ثم نشره
في كتيب صغير قدم له بكلمة شارحة تقتطف منها ما يأتي :

« أغنية الرياح الأربع تقوم على الحوار ، فبعد أربع
مقطوعات تقف كلاً منها فتاة ، يدخل رجل فيحيين ويشعر
في خطفهن ليستولى على الرياح الممثلة فيهن ، فيغيرهن بإثارة
الفضول في نفوسهن ، وذلك بأن يعرض عليهن زيارة سفينته
(وتلك كانت خطة البحارة الفينيقيين في عهد هذه الأغنية
يلجأون إليها عند ما يريدون اقتناص الجوارى من بلاد البحر
الأبيض) ، ولما قوبل طلبه بالرفض ، لم يستسلم للهزيمة كما هو
واضح من المقطوعة الأخيرة في الأغنية « إن وسائل لا تنفذ » ،
ولكن لسوء الحظ لم نثر على تكملة الأغنية والوسائل التي
لجأ إليها الرجل ، وأكبر الظن أنها مما يشتر الشراة
(Gourmandise) التي تكشف مواطن الضعف في النساء .

ويبدو من قراءة هذه الأغنية أنها لم تصل إلينا كاملة ،
بل امتدت إليها يد التغير ، تشهد بذلك مقطوعتها الثالثة التي
تقضي بربح الشرق فإنها تزيد على المقطوعات الأخرى ، وربما
تعتمد ذلك الذي قام بجمع أجزاءها حتى تبدو هيئة سهلة .

ومهما يكن من أمر هذا الحذف فإن هذه الأغنية قد
وسمت من آفاق معارفنا عن أقدم نصوص الأدب المصري
وأضافت إلى معلوماتنا شيئاً جديداً جديراً بالتقدير .

ولسنا مغالين إذ نقول إنها أثبتت وجود شعر غنائي مليء

بالخيال والعذوبة في مثل هذا العهد البعيد .

(١) يبنى أن ربح العبال تهب عند غروب الشمس من كل يوم
وتتشر حتى وقت متأخر من الليل فتلطف حدة الحرارة في أشد أيام الصيف
(٢) هي الطافات التي تدفقت منها المياه إلى الأرض في عهد طوفان نوح
ولم يأت ذكرها عنه قدماء المصريين إلا في أقدم نصوص الأهرام .

(٣) تقطع الشمس رحلتها في السماء من الشرق إلى الغرب ، فربح
الشرق إذن هي أكثر الرياح ملاءمة لها

(٤) تقول أساطير القدماء إن الشمس Ré تملك في السماء قصرأواسحة

(٥) المعروف أن « أيسس » كانت له في الطعام شهية قوية ، وأن

« سيت » كان جشعاً يأكل بسرراة

(٦) ها Ha آلهة ليبية تسيطر على الصحراء الغربية ، أما Javou ،

فآلهة غير معروفة